الدور العسكري والسياسي لمدينة مصراتة في حركة المقاومة الليبية ضد الاحتلال الإيطالي (1911–1922م)

أ. الصديق أحمد عمر أبوزيان*
مصراتة – ليبيا

استلمت الورقة بتاريخ 2025/09/02، وقبلت بتاريخ 2025/09/21، ونشرت بتاريخ 2025/09/22

الكلمات المفتاحية:
ليبيا، مصراتة، العسكري، السياسي، إيطاليا.

الملخص

تركز هذه الدراسة على تحليل الدورين العسكري والسياسي لمدينة مصراتة في حركة المقاومة الليبية ضد الاحتلال الإيطالي خلال الفترة من 1911م حتى 1922م، وهي الحقبة التي مثّلت المرحلة التأسيسية الأولى للكفاح الوطني الليبي.

تعتمد الدراسة على المنهج التاريخي سردي وصفي، مستندة إلى الوثائق والشهادات التاريخية والمصادر المحلية والأجنبية، وذلك لتفسير طبيعة المشاركة العسكرية لأبناء المدينة في المعارك ضد القوات الإيطالية، إلى جانب جهود القيادات السياسية المحلية في إدارة شؤون المقاومة، وتشكيل مواقف رافضة للاحتلال، وتوظيف كافة الموارد الممكنة لمواجهته.

وقد أظهرت النتائج أن مدينة مصراتة لعبت دورًا حاسمًا في مواجهة الاحتلال، سواء من خلال العمليات القتالية المنظمة، أو عبر القيادة السياسية التي سعت إلى بناء توافقات محلية وتنظيم الصف الداخلي للمجاهدين. كما بيّنت الدراسة أن هذا الدور المتكامل عزز من صمود المقاومة، وأفشل العديد من محاولات الاحتلال لإخضاع المنطقة خلال العقد الأول من الاحتلال.

مقدمة

شهدت مدينة مصراتة، إلى جانب عدد من المدن الليبية الأخرى، تحولات مفصلية منذ اندلاع الغزو الإيطالي في أكتوبر 1911م وحتى صعود الحزب الفاشي إلى الحكم في إيطاليا عام 1922م، غير أن الدور الذي اضطلعت به مصراتة خلال هذه الحقبة تميّز بفاعليته في المسارين العسكري والسياسي، مما جعلها إحدى الركائز الأساسية في حركة الجهاد الليبي. وقد أفرزت هذه المرحلة جملة من التطورات المتسارعة التي أسهمت في بلورة التوجهات الوطنية وتشكيل معالم مشروع المقاومة.

لقد أضفى الموقع الاستراتيجي لمصراتة، باعتبارها مدينة ساحلية ذات منفذ بحري حيوي وشبكة طرق تربطها بوسط وغرب البلاد، أهمية لوجستية جعلت منها مركزاً عسكرياً بارزاً وقاعدة للعمليات الجهادية ضد التغلغل الإيطالي. ولم تكن الأهمية محصورة في الجغرافيا فحسب، بل تعززت بوجود قيادة محلية ذات طابع سياسي وعسكري، أدارت المعركة بوعي استراتيجي، وأسهمت في تحرير المدينة من الاحتلال الإيطالي عام 1915م حتى 1923م، وهو ما منحها مكانة متقدمة في معادلة الصراع مع الاستعمار.

وعلى الصعيد العسكري، خاض أبناء المدينة معارك متكررة كبّدوا فيها القوات الإيطالية خسائر كبيرة، وكانوا في طليعة الجبهات التي واجهت الاحتلال بالسلاح والتنظيم والانضباط. كما برزت مصراتة بقدرتها على تنظيم المقاومة وتوسيع نطاقها لتشمل مناطق مجاورة، بما يدل على عمق تأثيرها العسكري في سياق الكفاح الوطني.

أما على الصعيد السياسي، فقد برزت المدينة كحاضنة للخطاب الوطني الرافض للاحتلال، وساهمت في إنتاج نخب سياسية لعبت دوراً بارزاً في التنسيق مع قوى المقاومة في داخل ليبيا وخارجها. كما شهدت مصراتة حراكاً مجتمعياً فاعلاً رافق المعركة المسلحة، حيث تنامت الأنشطة السياسية والاجتماعية والثقافية التي عززت روح التضامن والمقاومة بين الأهالي، وعبّرت عن وعي جماعي متقدّم بأهمية الدفاع عن السيادة الوطنية.

ومن هذا المنطلق، فإن معرفة الدور العسكري والسياسي لمصراتة خلال الفترة 1911–1922م يعد مدخلاً جوهرياً لفهم دينامية المقاومة الليبية، خاصة مع دخول الفاشية الإيطالية مرحلة الحكم وتبنيها لسياسات استعمارية أكثر قمعاً وتوسعية. ويكتسب هذا الإطار الزمني أهمية مضاعفة بالنظر إلى كونه يمثل مرحلة تأسيسية لمفاهيم الجهاد الوطني، كما يكشف عن آليات التفاعل المحلي مع التحولات الإقليمية والدولية التي أحاطت بالمشروع الاستعماري الإيطالي.

مشكلة الدراسة

تكمن إشكالية هذه الدراسة في وجود فجوة معرفية تتعلق بطبيعة الأوضاع السياسية والعسكرية في مدينة مصراتة خلال الفترة الممتدة من عام 1911م إلى عام 1922م، وهي مرحلة مفصلية شهدت بواكير الغزو الإيطالي وتصاعد المقاومة الوطنية، وصولاً إلى التحولات التي أفرزها صعود الحزب الفاشي في إيطاليا وانعكاساتها المباشرة على السياسة الاستعمارية في ليبيا. فرغم توفّر أدبيات تاريخية تتناول عموم المشهد الليبي خلال الحقبة الاستعمارية، إلا أن المدينة لم

alsaddegabuzian@gmail.com

تحظَ بدراسة معمّقة تركز على دورها الخاص كأحد المراكز الحاضنة للمقاومة المسلحة والتنظيم السياسي، ما يجعل تناولها كدراسة حالة ضرورة علمية لسد هذه الثغرة.

أسئلة الدراسة

تتمحور أسئلة الدراسة في النقاط التالية:

1. ما طبيعة المشاركة العسكرية لمدينة مصراتة في مقاومة الاحتلال الإيطالي؟
2. ما دور القيادات السياسية في تنظيم وتوجيه العمل المقاوم للاحتلال الإيطالي؟
3. كيف تكامل الدوران العسكري والسياسي في المدينة لتعزيز صمود المقاومة ؟

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق ما يلي:

1. إبراز الدور العسكري لمصراتة في مقاومة الاحتلال الإيطالي خلال الفترة المدروسة.
2. توضيح الدور السياسي والتنظيمي للقيادات المحلية في المدينة.
3. توضيح العلاقة بين العمل العسكري والسياسي في دعم مشروع المقاومة.

أهمية الدراسة

تنبع أهمية هذه الدراسة من عدة اعتبارات، أبرزها:

1. أهمية المرحلة التاريخية التي تتناولها الدراسة، والتي مثّلت منعطفاً حاسماً في مسار الجهاد الليبي ضد الاستعمار الإيطالي، وفيها تشكلت كثير من ملامح المقاومة الوطنية.
2. التركيز على مدينة مصراتة كمركز حيوي للمقاومة العسكرية والسياسية، وهو جانب لم يُعطَ حظاً وافراً من البحث في الدراسات التاريخية السابقة، التي غالباً ما تناولت السياق الوطني بشكل عام دون التعمق في التفاصيل المحلية.
3. الإسهام في توثيق الأدوار المحلية الفاعلة في الكفاح الوطني، يمكن الإفادة منه في دراسات مشابهة لمناطق ليبية أخرى.
4. إبراز التفاعل المجتمعي والسياسي لسكان مصراتة مع المتغيرات الاستعمارية، ما يعكس وعيًا سياسيًا مبكرًا ومشاركة شعبية فاعلة تستحق الدراسة والتأريخ.

حدود الدراسة

- **الحدود الزمانية:** تركز الدراسة على الفترة من عام 1911 (بداية الاحتلال الإيطالي) إلى عام 1922 (قبل وصول الحزب الفاشي للحكم في إيطاليا).
- **الحدود المكانية:** تقتصر الدراسة على مدينة مصراتة ومحيطها الإقليمي.

منهجية الدراسة

تعتمد هذه الدراسة على المنهج السردي الوصفي، الذي يتضمن جمع المعلومات من المصادر التاريخية المختلفة (مثل الوثائق الأرشيفية، الكتب، المقالات، المذكرات الشخصية) وسردها ووصفها لاستخلاص النتائج. سيتم التركيز على الأحداث والتطورات الزمنية، وربطها بالسياقات السياسية. ستشمل أدوات جمع البيانات مراجعة شاملة للأدبيات والدراسات السابقة المتعلقة بالموضوع، بالإضافة إلى تحليل الوثائق التاريخية المتوفرة.

الدراسات السابقة

- **دراسة القمودي (2009) بعنوان: حكومة مصراته الوطنية وأثرها على حركة الجهاد في ليبيا (1914–1922):**

هدفت هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على دور حكومة مصراته الوطنية التي تأسست بعد معركة القرضابية، وذلك من خلال الإجابة على تساؤلات حول تنظيمها الإداري، وسياستها الداخلية والخارجية، وموقف الزعامات المحلية والقوى الإيطالية منها، بالإضافة إلى علاقتها بالدول الأوروبية. اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي، مع التركيز على فترة زمنية محددة (1914–1922) وجغرافية منطقة مصراته وما حولها، مستخدمًا وثائق متنوعة (عربية وإيطالية وإنجليزية) من مراكز الأرشيف مثل مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.

كشفت الدراسة أن حكومة مصراته كانت أول حكومة وطنية في ليبيا، وتميزت بطابع عسكري واضح، ولعبت دورًا محوريًا في مواجهة الاحتلال الإيطالي رغم قصر عمرها. كما أظهرت شخصية رمضان السويحلي كقائدٍ موحدٍ سعى إلى تجسيد الوحدة الوطنية، لكن الانقسامات الداخلية والتدخلات الإيطالية حالَت دون استمرار مشروعه. وقد أجبرت الحكومة الإيطالية على الاعتراف بهذه الحكومة ومحاولة التفاوض معها، مما يدل على أهميتها الاستراتيجية.

أوصى الباحث بضرورة إجراء مزيد من الدراسات التاريخية المتعمقة حول هذه الفترة، والكشف عن الوثائق غير المنشورة، وتجنب التحيز القبلي أو الشخصي في كتابة التاريخ، مع التركيز على الموضوعية والحياد العلمي لفهم أبعاد حركة الجهاد الليبية بشكل أشمل.

- **السويحلي (2014) بعنوان: رمضان السويحلي أحد رموز الجهاد الليبي ومحقق النصر في القرضابية**

تركّز هذه الدراسة على سيرة ودور رمضان السويحلي كأحد أبرز قادة الجهاد الليبي ضد الاحتلال الإيطالي، مع تركيز خاص على تحقيقه النصر في معركة القرضابية، وتتبع مسيرته منذ النشأة وحتى تأسيسه حكومة مصراته وعلاقاته مع

الزعماء والقبائل الأخرى. تغطي الدراسة الفترة من بداية الغزو الإيطالي عام 1911 وحتى سنوات المقاومة والتأسيس الحكومي، مع تركيز جغرافي على غرب ليبيا وخاصة مصراته وطرابلس. اعتمد الباحث على المنهج التاريخي التحليلي، مستندًا إلى وثائق ومخطوطات وروايات شفهية وتسجيلات أسرية، بهدف إبراز الدور التأسيسي لرمضان السويحلي وتوثيق مرحلة حاسمة من تاريخ الجهاد الليبي.

أظهرت الدراسة أن رمضان السويحلي كان قائدًا عسكريًا ومؤسسًا سياسيًا متميزًا، قام بدور محوري في تحقيق النصر في معركة القرضابية وتأسيس أول حكومة وطنية في مصراته، كما نظم الإدارة والقضاء والجيش وعمل على توحيد الصفوف رغم التحديات الداخلية والخارجية. كشفت أيضًا عن علاقاته المعقدة مع زعماء المقاومة الآخرين ومحاولات إيطاليا لإفشال أي وحدة وطنية.

المبحث الأول- الدور العسكري لمدينة مصراتة في حركة الجهاد الليبي من 1911م إلى 1922م.

أولاً- بدايةً من 1911م إلى ما قبل معركة القرضابية 1915م:

في الخامس من أكتوبر 1911م، بدأت القوات البحرية الإيطالية النزول لمدينة طرابلس، وقد استطاعت الاستيلاء عليها بدون مقاومة من الأهالي عدا بعض المناوشات مع القوات العثمانية، وتتابع نزول القوات الإيطالية من يوم 5 حتى 23 من أكتوبر، وقد تفاجأ الليبيون بطرابلس في الأيام الأولى للاحتلال ولذلك لم تحدث في هذه المدة أي مواجهات حربية داخل المدينة[1].

في تلك الأثناء قدمت الحشود من المدن المجاورة إلى المعسكرات الذي انسحبت إليها القوات العثمانية في العزيزية، وعين زارة، وضمت هذه الحشود متطوّعين من بعض المدن، من بينها: زوارة، الزاوية، ورشفانة، النواحي الأربعة، ترهونة، غريان، وغيرها من المدن، أما القوة القادمة من مصراتة، فقد كانت مكوّنة من ستمائة فرد، بقيادة الضابط حسين الشريف المغربي، ومعه أحمد المنقوش، وكان من ضمن القوة رمضان السويحلي(*)[2].

توجّهت قوات مصراتة إلى طرابلس واشتركت في أهم المعارك التي دارت في بداية الاحتلال الإيطالي فبعد وصول مجاهدي مصراتة، أخذت القوات الإيطالية إقامة تحصينات في سوق التلمساني، وسيدي منصور، وسيدي المصري، وسوق الجمعة وتاجوراء[3]، ففي يوم 23 أكتوبر أسندت إلى مجاهدي مصراتة مهمة مهاجمة قصر الهاني[4]، وقد خسرت محلة مصراتة في معركة الهاني نصف عددها وكانت الرواية المتداولة في تلك الفترة والتي وصلتنا أنه أقيم في مصراتة وضواحيها عقب تلك المعركة ما يقرب من ثلاثمائة عزاء[5].

أكدّ ذلك القنصل البريطاني بطرابلس بتاريخ 3 نوفمبر 1911م، أي بعد عشرة أيام من المعركة في رسالة لحكومته، جاء فيها: "ويقال أيضاً أن مفرزة مصراتة التي هاجمت المواقع الإيطالية في الهاني قد منيت بخسارة كبيرة، فقد تركت خمسمائة قتيل في ميدان المعركة"[6].

يتفق الباحث مع ما ذهب إليه صلاح الدين عوض الذي نشر الرسالة في كتابه (رمضان السويحلي أحد رموز الجهاد الليبي) في الوثيقة رقم (1) إلى أن فرق بين العددين الذي يبلغ مئتين من الشهداء، كان من مقاتلي المناطق الأخرى التي شاركت قوات مصراتة في هجومها، وكان من بين أولئك الشهداء رئيس المجاهدين أحمد المنقوش، الذي أوصى بالقيادة لرمضان السويحلي من بعده، واستمر مقاتلو مصراتة في القتال إلى جانب قوات المناطق الأخرى ضد القوات الإيطالية

---

(1) الطاهر الزاوي، تاريخ جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، داروف المحدودة، لندن، ط3، 1984م، ص84.

* ولد رمضان السويحلي بمدينة مصراتة بمنطقة زاوية المحجوب سنة 1881م، في سن السادسة، التحق رمضان بزاوية سيدي إبراهيم المحجوب في مسقط رأسه، حيث بدأ رحلته التعليمية بحفظ القرآن الكريم تحت إشراف الفقيه السويسي بن ضيف الله، ثم تتلمذ على يد الشيخ إبراهيم عزوز لدراسة الفقه على المذهب المالكي، واختتم مسيرته التعليمية بانتقاله إلى زاوية سيدي أحمد الزروق في نفس المدينة، ليُتم تعليمه الديني هناك على يد الشيخ رمضان أبي تركيته. وهو ينتمي إلى قبيلة يدر الكوارغلية، والكوارغلية أحد المكونات الاجتماعية في ليبيا، وهم عرب الشام وفلسطين الذين قدموا مع القادة الأتراك لتحرير طرابلس الغرب من الاستعمار الصليبي، وشاركوا أيضاً في تحرير المنطقة الشرقية فيما بعد من الاستعمار المصري (فيما يعرف بتجريدة حبيب) واستوطنوا درنة وبنغازي إضافة إلى بعض مدن الساحل الغربي في ليبيا، ورد ذلك في لقاء أجراه الباحث في العام 1990م مع أحمد عمر أبو زيان، الذي بدوره استقى تلك المعلومة من الشيخ علي الزعيليك، أحد مشائخ قبائل الكوارغلية والمولود في العام 1874م، وقد حاولت بعض الأطراف في ليبيا نسبتهم إلى الأتراك، ولكن الحقيقة كما يراها الباحث هم عرب الشام وفلسطين، فلا يوجد أدلة على تخلّي الأتراك العثمانيين عن لغتهم وجنسيتهم في كل البلاد التي فتحوها ونشروا فيها الإسلام، أو التي وقعت تحت سيطرتهم من الدول الإسلامية والغربية، وقد كان آخر القادة الأتراك العثمانيون في ليبيا نوري باشا، يتحدث مع رمضان السويحلي بواسطة المترجم، أو ما عرف بالترجمان.

(2) صلاح الدين السويحلي، رمضان السويحلي أحد رموز الجهاد الليبي ومحقق النصر في القرضابية، صلاح الدين السويحلي، مصراتة، ط/1، 2014م، ص44.

(3) تاريخ القوات المسلحة التركية (الدور العثماني) الحرب العثمانية الإيطالية 1911م-1912م، تر: محمد الأسطى وعلي عزازي، مر: نجم الدين زين العابدين، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية طرابلس 1988م، ص199-201.

(4) المرجع نفسه، ص204.

(5) أكد هذه الرواية شفوياً الحاج أحمد علي أبو شرود في مقابلة أجراها معه الباحث، سنة 2007م، والذي نقلها عن عمه الذي عاصر تلك الفترة، وقد أجرى الباحث هذه المقابلة بمصراتة في أكتوبر 2007م.

(6) صلاح الدين السويحلي، مرجع سابق، ص48.

وحدثت عدة معارك وكان من أهمها معركة عين زارة التي وقعت في الرابع من ديسمبر 1911م، والتي تكبد فيها الإيطاليون خسائر كبيرة، رغم تراجع المجاهدين إلى منطقة سواني بن يادم في العزيزية[7].

في يوم 28 يناير 1912م، حاول المجاهدون استرداد موقع عين زارة[8]، والتي أصيب فيها رمضان السويحلي بجروح بليغة، مما أضطره للرجوع إلى مصراتة للتداوي، وقبل أن يتم علاجه داهم الإيطاليون مصراتة بحراً لاحتلالها[9].

أمّا يوم الحادي والعشرون من أكتوبر سنة 1911م فقد سيطر الإيطاليون على مدينة الخمس، وقرر القادة الأتراك والمجاهدون الليبيون أن يتولى قيادتهم في معارك الجهاد بتلك المنطقة بشير السعداوي(*) الذي اتصل مع زعماء القبائل الواقعة في نطاق متصرفية الخمس، والذين تقاطروا من مناطق العلوص والقره بولي وترهونة ومسلاتة وزليتن ومصراتة وسرت، وخاضوا عدة معارك ومنها معركة المرقب التي كبدوا فيها الإيطاليين خسائر كبيرة، والتي حدثت في يوم 23 أكتوبر 1911م، وهو نفس التاريخ الذي حدثت فيه معركة الهاني[10].

ركزت القوات الإيطالية اهتمامها فيما بعد بالمناطق الاستراتيجية كمدينة مصراتة، لكونها قاعدة بحرية مهمة على الصعيدين العسكري والاقتصادي من ناحية، ولكونها دعمت جبهات القتال في طرابلس وزليتن والخمس ومسلاتة والمرقب بالمجاهدين والعتاد الحربي والمواد الغذائية من ناحية أخرى، وعند ذلك عاد بشير السعداوي بقواته البالغة 450 مقاتلاً إلى مدينة مصراتة، للمشاركة في الدفاع عنها[11].

في السادس عشر من يونيو 1912م، نزلت القوات الإيطالية إلى شواطئ مدينة مصراتة تحت حماية قصف مدافع سفنها البحرية[12]، وفي أثناء نزولهم حاول مائة من المجاهدين، يرأسهم سالم أفندي مليطان ومشائخ آخرون من قصر أحمد والسواطي والملائطة والزروق عرقلة نزولهم من البحر ففقدوا عشرين شهيداً[13].

انضم إليهم فيما بعد ما يقرب من ثلاثة آلاف مسلح، موزعين على المواقع بمصراتة والزروق، كان من ضمنهم أفراد محلّة مصراتة المكونة من ثلاثمائة مسلح والتي كانت متمركز بالعزيزية قد وصلت مصراتة للدفاع عن ترابها[14].

من المقاتلين الثلاثة آلاف الذين بدأوا يتجمعون لمواجهة الإيطاليين أربعمائة مسلح في زاوية المحجوب مع أحمد اشتيوي، وأربعمائة مسلح بديار ارفيدة (المقاصبة) قادمون من كرزاز، وفي أبوروية مائة مسلح، وثلاثمائة مسلح في ديار الشاوش بقيادة محمد الأدغم، كما يوجد مائة مسلح يقودهم أحمد شقلوف، وخمسون مسلحاً مع أحمد أبوشوفة في الزوابي، ومائة مسلح في الشراكسة مع محمد بن المبروك، وعشرون مسلحاً في الجهانات مع محمد أبوقرين، وفي فلاجة مائة وخمسون مسلحاً[15]. أيضاً كان مائة وثمانون مسلحاً في الصوالح يقودهم علي الأحول، وقوات أخرى في الشراكسة تبلغ مائة وعشرة مسلحاً بقيادة عمر شقلوف، وثمانون مسلحاً آخرون مع محمد الأجطل، وأربعون مع عبدالله الدلنسي في الزوابي، وفي زمورة خمسة وعشرون مسلحاً، وفي العبادلة ثلاثون مسلحاً مع حسين قرقد، وفي قزير خمسون مسلحاً[16]. كما تمركزت قوة شرق مصراتة، تتمثل في مائتي مسلح مع عمر بادي، ومئة وخمسين مع علي الجمل، وثمانين مسلحاً مع بودبوس[17].

واستمرت المعارك بين الإيطاليين والمجاهدين في مصراتة، ففي الثامن من يوليو 1912م استطاعت قوة إيطالية مهاجمة قوات المجاهدين المتمركزة في منطقة الزروق، ومنطقة الرملة إلى البحر[18]، واستمرت المعركة إلى اليوم التالي، وهو التاسع من يوليو اليوم الذي دخلت فيه القوات الإيطالية منطقة امّاطين(*) بعد استخدامها المدفعية، ومغادرة السكان إلى مناطق أبعد، أمّا المجاهدون فانسحبوا إلى منازل المقاصبة وأولاد بعيُّو، واتخذوا من هذه المواقع الثلاثة مراكز أماميّة لخط القتال[19]، وبعد عدة

(7) المرجع نفسه، ص48-49.
(8) خليفة محمد التليسي، معجم معارك الجهاد في ليبيا، 1911-1931م، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1983م، ص367-368.
(9) الطاهر الزاوي، مصدر سابق، ص232.
* بشير السعداوي، أحد مجاهدي مصراتة، واشترك في عدة معارك، ثم قاد الحركة الوطنية الليبية بسوريا 1924 -1938 فمن خلال تزعّمه اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية البرقاوية (1928 – 1932)، ثم جمعية الدفاع عن طرابلس وبرقة (1932 – 1938)، وللمزيد انظر: أرويعي محمد قناوي، بشير السعداوي ودوره في الحركة الوطنية الليبية.
(10) خليفة محمد التليسي، معجم معارك الجهاد، مرجع سابق، ص415.
(11) أرويعي قناوي، بشير السعداوي ودوره في الحركة الوطنية الليبية (1884م-1957م)، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، ط/1، 2014، ص76.
(12) خليفة محمد التليسي، مرجع سابق، ص470.
(13) سلسلة الوثائق الإيطالية المترجمة والمنشورة، المجموعة الثانية عشر، تقرير النقيب قاليتا، تر: محمود بادي، مر: علي الصادق حسنين، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، دار الكتب، طرابلس، 1990م، ص21.
(14) المصدر نفسه، ص31.
(15) سلسلة الوثائق الإيطالية المترجمة والمنشورة، المجموعة الثانية عشر، تقرير النقيب قاليتا، المصدر نفسه، ص71.
(16) المصدر نفسه، ص167.
(17) نفسه، ص187.
(18) صلاح الدين السويحلي ، مرجع سابق، ص54.
* "اماطين" مصطلح متداول سابقاً بين أهالي يطلق على وسط المدينة (حالياً المنطقة الواقعة بين ميدان الساعة والجامع العالي).
(19) محمد مفتاح قريو، معارك الجهاد التي وقعت في مصراتة زمن الحروبات الإيطالية، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة، 1994م، ص13-15.

مناوشات، هاجم الإيطاليّون طلائع المجاهدين في العشرين من يوليو 1912م، فتراجعت قوات المجاهدين إلى أن وصلت بستان الجابريّة بالغيران غربي مصراتة، في الوقت الذي تقدّمت فيه قوات رمضان السويحلي من الجهة الغربية، والقوات التي كان يقودها محمد الجمل من الجهة الشرقية وأصبحت القوات الإيطالية محاصرة من ثلاث جهات، واشتد القتال في الرميلة (رميلة الصوالح)، وتراجع الإيطاليون إلى المدينة، واحتموا بأسوارها، واستخدموا المدافع للدفاع عن حاميتهم في قوز التيك، لمنع تتبع المجاهدين لهم[20]، وقد غنم المجاهدون في هذه المعركة حوالي ثمانمائة بندقية[21].

وفي السادس والعشرين من يوليو-أي بعد ستة أيام من معركة الرميلة- أراد الإيطاليون الانتقام فهاجموا مواقع المجاهدين في المقاصبة، وأولاد أبوشعالة وأولاد بعيُّو، ووقع بينهم قتال عنيف، وتراجع المجاهدون في بداية المعركة إلى قرية الشراكسة، وقرية سيدي عمران، واستمر القتال حتى وصول المدد للمجاهدين الذين انقضوا على القوات الإيطالية التي بدورها تراجعت مرّة أخرى إلى أسوار المدينة، فمنعتهم الأسلاك الشائكة التي أقامها الإيطاليون أنفسهم فارتموا عليها، فأصبحوا عرضة لرصاص المجاهدين، وسمّيت هذه المعركة بمعركة (الشبيط) التي استشهد فيها نحو مائة من المجاهدين، وجرح مائة وخمسون آخرون[22].

وفي السابع من أغسطس 1912م قتل أحد عشر جندياً إيطالياً، عندما نصب لهم أربعون من المجاهدين كميناً بقياد محمد هب الريح الرملي، عندما أرادت الدوريات الإيطالية منع رجال علي الجمل من التسلل إلى قبيلة الرملة خلف الخطوط الإيطالية[23]، وبانتشار الخبر وصلت نجدة من المجاهدين في كرزاز، واشتبكت مع الإيطاليين في معركة رأس أبوغولة وانتصرت عليهم[24].

واستمرت المعارك بين المجاهدين في مصراتة والقوات الإيطالية، حتى وصول أخبار عن معاهدة أوشي لوزان(*) التي أجبرت فيها الدولة العثمانية على تسليم ليبيا إلى إيطاليا، ووصلت أخبار المعاهدة إلى المجاهدين عن طريق البكباشي الخازمي يوم 21 أكتوبر 1912م، فما كان منه إلا أن جمع كافة رؤساء المحلات ليخبرهم بنبأ الصلح، ففرح معظم الحاضرين، وأعرب البعض عن تمسكهم بمواصلة الحرب ضد الإيطاليين، وأنهم ليسوا بحاجة لمساعدة الأتراك، والذين أبدوا اعتراضهم، هم: أحمد اشتيوي، الحاج أبو القاسم، علي الماني، ومنصور من يدّر[25]، وهذا موقف مشرف يحسب لهؤلاء الأبطال، خصوصاً أن الصلح فرض فرضاً على الدولة العثمانية المنهارة، والتي استمر دعمها فيما بعد إلى المقاومة الليبية العسكرية والسياسية حتى نيل الاستقلال.

ومع ذلك فقد أصبح الصلح أمراً لا مفرّ منه، بعد تخلّي الدولة العثمانية عن دعم المجاهدين وسحب قوّاتهم، وهو ما حدث بالفعل، ومع هذا فقد استمرّ، رمضان السويحلي، الذي سُمِحَ له ولحراسه بالاحتفاظ بأسلحتهم، بتجنيد خمسة عشر إلى عشرين متطوّعاً يومياً[26]، وإرسالهم إلى سرت تحت قيادة أحمد التواتي وصالح الأطيوش، فاندفع الكثير من مقاتلي مصراتة إلى هناك، ومنهم علي الأسطى، وعلي أبوجازية[27].

وقد استمر رمضان السويحلي بإمداد المجاهدين بالذخيرة، والتموين، وأخذ يشجّع الشباب للانضمام إلى المقاتلين الذين كانوا في سرت تحت قيادة أحمد التواتي، وصالح الأطيوش، كما أرسل لهم عن طريق مبارك الغلاش الملابس، بعد أن تحصل على إذن من السلطات الإيطالية كبائع متجول بين النجوع حيث تمكن من تسليم رسالة لصالح الأطيوش[28].

واستطاع الإيطاليون احتلال سرت في أوائل سنة 1913م، والقبض على عبدالله بن مليطان، أما نوري باشا القائد التركي الذي قدّم السلاح إلى المجاهدين في سرت، فقد استطاع عبدالعاطي الجرم توفير الحماية له، إلى أن وصل إلى برقة، ثم إلى الأستانة[29].

وفي 15 فبراير 1915م، شاركت قوّة من مصراتة بقيادة رمضان السويحلي في معركة أبوهادي، وقد جرح في هذه المعركة أحمد السويحلي، وقد شاركت هذه القوة في المعركة بطريقة سرية، بعد أن خرجوا من مصراتة بحجة إرجاع إبلهم المنهوبة[30].

---

(20) صلاح الدين السويحلي، مرجع سابق، ص57-ص58.

(21) مذكرات خليل باشا، مذكرّات الضباط الأتراك حول معركة ليبيا، تر: وجدي كدك، مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي، طرابلس، 1979م، ص182.

(22) محمد مفتاح قريو، مرجع سابق، ص23، 24.

(23) سلسلة الوثائق الإيطالية المترجمة والمنشورة، المجموعة الثانية عشر، تقرير الضابط قاليتا، مصدر سابق، ص42.

(24) صلاح الدين السويحلي، مرجع سابق، ص63.

* معاهدة أوشي لوزان، تنص المعاهدة بين الدولة العثمانية وإيطاليا على عدّة بنود أهمها: انسحاب القوّات العثمانية من الأراضي الليبية، وإنهاء حالة الحرب بين الدولتين. للمزيد انظر: صلاح الدين السويحلي، مرجع سابق، ص66.

(25) سلسلة الوثائق الإيطالية المترجمة والمنشورة، المجموعة الثانية عشر، تقرير الضابط قاليتا، مصدر سابق، ص249.

(26) موسوعة روايات الجهاد، سلسلة الروايات الشفوية، رقم (33)، رواية أحمد عواج، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1992م، ص12.

(27) المصدر نفسه، ص12.

(28) صلاح الدين السويحلي، مرجع سابق، ص78.

(29) الطاهر الزاوي، مصدر سابق، ص164.

(30) صلاح الدين السويحلي، مرجع سابق، ص82.

وعن هذه الفترة سأكتفي بنقل ما أورده الصحفي الفرنسي الذي زار ليبيا في النصف الأول من العام 1912، وألّف كتاباً عن هذه الزيارة، وقد مر هذا الصحفي في رحلته هذه على مدينة مصراتة وكتب عنها الكثير، ومن جملة ما كتبه عنها أنه قد استقبله أعضاء المجلس البلدي وعميده (محمود بي) وكانوا يرتدون ملابس فخمة وجميلة فكانوا من الأبهة وحسن المظهر إلى حد يفوق ما يمكن أن يشاهده المرء لأعضاء مجلس بلدي في إحدى المدن الفرنسية، وآخر ما كتبه: "تلك هي علاقتي مع أهل مصراتة الشجعان الذين اختبر الإيطاليون شجاعتهم وعنفهم منذ أن اشتبكوا مع مجاهديهم في معركة الهاني وسيدي المصري، وكنت أسمع عن شجاعتهم وبسالتهم في كل بقعة مررت بها، في طرابلس الغرب كلها، فها قد اجتمعت بهم بنفسي، فصدّقت كل ما قيل عنهم وإنني على يقين من أنهم مقاتلون شديدوا المراس، لقد التقيت بمجاهدين من "عرب مصراتة" في كل الخطوط الأمامية المحاربة، في العزيزية وفي الخمس، وهنا في مصراتة نفسها، حيث وجدتهم يسهرون على حماية مدينتهم وشواطئها ليل نهار"[31].

هذه شهادة من مراسل صحفي محايد تثبت الدور الرئيسي والشجاع الذي قام به مقاتلي مصراتة في معركة الجهاد الليبي منذ بداياته.

ثانياً- الفترة الممتدة بين معركة القرضابية 1915م وصعود الحزب الفاشي إلى الحكم في إيطاليا 1922م:

كان الإيطاليون قد شكلوا جيشاً قوامه أربعة آلاف مقاتل بقيادة العقيد آ. مياني، على أن يقوم بدعمه وحماية ظهره الفيلق الليبي (3500 مقاتل)، بقيادة رمضان السويحلي من مصراتة[32]، وذلك بغرض القضاء على حركة المقاومة المتمثلة في تجمعات المجاهدين في سرت، وتوافق وصول أحمد سيف النصر إلى سرت قادماً من بن وليد للانضمام إلى قوات المجاهدين بقيادة صفي الدين مع وصول مياني وحملته إلى سواني أبوشناف في 28 أبريل متخذة أوضاعها القتالية متجه في اليوم التالي إلى قصر أبي هادي[33]. وما أن بدأت المعركة حتى أمر رمضان السويحلي رجاله بتوجيه النار ضد الإيطاليين[34]، واستولى رجاله على قافلة الذخيرة، رغم محاولات جيوفاني بيتشوني Giouavni Pieciani رئيس قافلة الذخيرة منعهم[35].

تعرض الإيطاليُّون في هذه المعركة إلى هزيمة كبيرة، وخسائر فادحة، تمثّلت في مقتل 18 ضابطاً وجرح 25 آخرين، كما قتل 292 جندياً إيطالياً، وجرح 141 عسكرياً إرترياً، و296 جندياً إيطالياً[36].

كما غنم المجاهدون الليبيون في المعركة خمسة آلاف بندقية، وعددًا كبيرًا من الرشاشات والمدافع، وغير ذلك من التجهيزات[37]، وكادت الخسائر الإيطالية أن تكون أكثر، لولا رفض أحمد التواتي عرض رمضان السويحلي الذي وصله عن طريق عمر أبودبوس بالابتعاد إلى الجنوب[38]، لكي يسهل الإطباق على الإيطاليين أو يموت الناجون منهم عطشاً في الصحراء.

كان للمعركة الأثر الكبير في الحركة الوطنيّة الليبية، قد أدّى هذا الانتصار إلى تقهقر الإيطاليين عن معظم الأراضي الليبية، وأدّت هزيمة الإيطاليين في هذه المعركة إلى ثورة ضد الإيطاليين في معظم تلك الأراضي، وانحسر وجودهم في نقاط محدودة على الساحل[39].

ينسب الطاهر الزاوي في كتابه جهاد الأبطال نصر القرضابية إلى رمضان السويحلي والسويحلي وحده[40]، ويرى الباحث أن هذا الرأي فيه إجحاف للآخرين، رغم إن الخطة التي رسمها رمضان بيك السويحلي كانت خطّة محكمة، لكن لا ننسى أن قوات كبيرة من بعض المدن في غرب ليبيا كانت من ضمن فيلق رمضان السويحلي، ولم ينسحب قبل المعركة سوى عبدالنبي بالخير مع قواته إلى ورفلة، كما أن القوات التي واجهت الإيطاليين من برقة بقيادة صفي الدين السنوسي وصالح الأطيوش، وكذلك من فزان بقيادة عبدالجليل سيف النصر قد أبلت في هذه المعركة بلاءً حسناً.

(31) جورج ريمون، من داخل معسكرات الجهاد الليبي 1912، تر: محمد عبدالكريم الوافي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 1983م. ص205.

(32) نيكولاي ايليتش بروشين، تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى 1969م، تر: عماد حاتم، دار أويا للنشر والتوزيع والتنمية الثقافية، طرابلس، 2002م، ص193.

(33) أحمد عطية مدلل، القرضابية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1993م، ص111، 112.

(34) نيكولاي ايليتش بروشين، مرجع سابق، ص163.

(35) أحمد عطية مدلل، المقاومة الليبية ضد الغزو الإيطالي وتأثيرات الأوضاع الدولية عليها (أغسطس 1914–1915) مر: عقيل محمد بالبربار، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1989م، مجموعة وثائق وزارة المستعمرات المنشورة، تقرير النقيب جيوفاني بيتشوني رئيس قافلة الذخيرة، من ص366.

(36) مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، شعبة الوثائق الأجنبية، ملف بحوث ومقالات مترجمة من كتاب لويجي سيقاتو، إيطاليا في الحرب العالمية الأولى، ترجمة خاصة، رقم 36، ص10.

(37) نيكولاي ايليتش بروشين، مرجع سابق، ص163.

(38) أحمد عطية مدلل، المقاومة الليبية ضد الغزو الإيطالي، مرجع سابق، ص345–346.

(39) مراد أبو عجيلة القمودي، حكومة مصراتة الوطنية وأثرها على حركة الجهاد في ليبيا من سنة 1914م إلى 1922م، مكتبة الزحف الأخضر للنشر والتوزيع، مصراتة، 2009م، ص80.

(40) الطاهر الزاوي، مصدر سابق، ص237.

تعرض عقب المعركة أبناء مصراتة ومصالحهم في سرت إلى انتقام الجيش الإيطالي وقد احرقت المحال التجارية (المبنية بجريد النخيل) وتم أسر وتعذيب الكثير منهم، بمن فيهم صغار السن الذين لم يصلوا سن الجندية ومنهم عمر محمد أبوزيان الذي أحرق محله التجاري، وتم أسره وضربه وتعذيبه[41].

اعترف غراسياني بخداع رمضان السويحلي له بحيث تمكن من تسليح مقاتليه عن طريق الإيطاليين ثم انقض عليهم وصب نيرانه على جنودهم[42].

توجه رمضان السويحلي بعد معركة القرضابية إلى مصراتة لتحريرها من الإيطاليين منفرداً، بعد أن ماطله صفي الدين السنوسي لمدة ستة أيام بسبب الغنائم فأعطاه رمضان أكثرها[43]، فوصل بجيشه إلى كرزاز في يوم 11 مايو 1915م بعد أن استطاع رجاله في زاوية المحجوب طرد الإيطاليين منها، وقطع الطريق مع زليتن[44].

خسر الإيطاليون في أول مواجهة في يوم 12 مايو 1915م مع دورية تابعة لرجال رمضان السويحلي 11 جندياً وجرح 3 ضابط و29 جندياً[45]، وفي 24 مايو، قام الإيطاليون بجريمة (مذبحة فندق ماطوس) فقتلوا 33 مدنياً من رجال ونساء وأطفال رمياً بالرصاص[46].

استمرت المعارك بين مجاهدي مصراتة بقيادة رمضان السويحلي والقوات الإيطالية، والتي كان الهدف منها تحرير مصراتة من الإيطاليين، ومن هذه المعارك معركة رأس الطوبة 24 مايو 1915م، ومعركة فندق الجمل التي فشل فيها الإيطاليون في فك الحصار على حامية تاورغاء في 28 مايو من نفس العام، ومعركة السريويل في 30 مايو 1915م، التي استطاعت فيها الحامية الإيطالية الموجودة في تاورغاء الانسحاب إلى ميناء قصر أحمد عن طريق سبخة السريويل، وقد صعدوا السفينة باوسان التي كانت في انتظارهم في الميناء، وكانوا في حالة معنوية وجسدية متدهورة[47].

من معارك تحرير مصراتة في العام 1915م، معركة سبخة أبو فار يوم 29 مايو، ومعركة جرف المقاصبة يوم 27 يونيو، والتي حقق فيها مجاهدو مصراتة انتصارات على الإيطاليين، أدت إلى انسحاب القوات الإيطالية من مصراتة نهائياً عن طريق ميناء قصر أحمد بطريقة مهينة في 5 أغسطس 1915م، وكان قوامها 6500 رجل و700 دابة، و38 مدفعاً، و12 ألف طن من المعدات، ويرى الباحث أن عملية سحب تلك المعدات وأولئك الجنود عن طريق الميناء قد بدأت منذ شهر مايو عندما رست السفينة (باوسان) على شواطئ قصر أحمد، بدليل أن تلك السفينة سحبت كل أفراد ومعدات الحامية المنسحبة من تاورغاء عن طريق سبخة السريويل، وبذلك دخلت قوات المجاهدين إلى مصراتة المدينة، وبدأت حينها فكرة رمضان السويحلي حول تشكيل حكومة محليّة في مصراتة وإعادة بناء الجيش الشعبي، ليكون جيشاً نظامياً، وقد كانت الحكومة التي شكلها رمضان السويحلي في مصراتة تعتمد في نشاطها على تنظيم العلماء برئاسة المفتي، وكان رمضان يركز السلطة التنفيذية في يده، كما شكل بيت المال، ونظم جهاز الشرطة، واستتب النظام في منطقة مصراتة[48].

أما بالنسبة إلى ما غنمه مجاهدو مصراتة، من الإيطاليين في معارك 1915م، فقد وضعت تلك الغنائم في المخازن بعد حصرها وتسجيلها في دفاتر، ومراقبة الوارد والصادر الخاص بجميع أموال الدولة وأوجه صرفها[49]، وكانت ضرورات الحرب تلحُّ في إكمال ما ينقصها، وولاة الأمور يبذلون جهودهم للوصول إلى سد هذا النقص، فنشأ في المدينة نوع من صناعة الحديد لإصلاح بعض القطع الحربية الصغيرة، وملء الخرطوش الفارغ، ونشأت فيها صناعة دباغة الجلود، لإعداد ما يلزم لآلات الحرب من السيور، وأنشئت فيها مدرسة لتخريج الضباط، وتبعاً لهذا النشاط الحيوي اتجهت أنظار الناس إليها من كل جهة، وأصبحت سياسة مصراتة الوطنية هي السياسة التي يجب اتباعها، وتنفيذ خططها، وأصبح نفوذ مصراتة المباشر يشمل زليطن، وساحل آل حامد، والخمس (ما عدا مركز المدينة)، وقصر خيار، ومسلاتة، ويمتد شرقاً إلى سرت، طيلة حكومة رمضان السويحلي، كما كانت غدامس تابعة لنفوذ حكومة مصراتة، والقائمقام فيها علي الشنطة، ثم أحمد الفسطاوي، وقد أرسلت إليها حكومة مصراتة إعانة مالية مع الحاج بعيُّو بيت المال، متمثلة في خمسة آلاف جنيه ذهباً، للإنفاق على الجند القائمين بمراقبة الأمن في غدامس، وعلى الحدود الليبية التونسية، كما استجاب الطوارق والشعابنة في غدامس إلى وساطة رمضان السويحلي في حل الخلافات بينهم[50].

(41) مقابلة أجراها الباحث مع أحمد عمر أبوزيان، عام 1990م.
(42) رودولفو غراتسياني، نحو فزان، تر: طه فوزي، دار الفرجاني للنشر، طرابلس، (د.ت)، ص35.
(43) الطاهر الزاوي، عمر المختار الحلقة الأخيرة من الجهاد الوطني في ليبيا، ط2، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2004، ص67.
(44) سلسلة الوثائق الإيطالية المترجمة والمنشورة، المجموعة السادسة، إعداد: خليفة محمد الدويبي، وإبراهيم سالم الشريف، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ط1، 1990، وثيقة رقم (54)، ص478.
(45) المصدر نفسه، وثيقة رقم (34)، ص273.
(46) نفسه، وثيقة رقم (54)، ص479.
(47) نفسه، وصف قوساوي قائد السفينة (باوسان) في تقريره المؤرخ في 3 يونيو الحالة المتردية التي كانت عليها حامية تاورغاء خلال تراجعها، وثيقة رقم (34)، ص276، 277.
(48) نيكولاي ايليتش بروشين، مرجع سابق، ص164-165.
(49) الطاهر الزاوي، تاريخ جهاد الأبطال، مصدر سابق، ص243.
(50) المصدر سابق، ص303-304.

بين سنتي 1916م و1918م بدأت الإدارة تتركّز في مصراتة، وبدأ التحسّن في جميع الشؤون الإدارية، والصناعية، والعسكرية، وأبدت الغوّاصات الألمانية نشاطاً في إمداد المجاهدين بما شدَّ عزائمهم، وزادهم قدرة على الدفاع[51].

وصل عدد رحلات الغواصات الألمانية إلى ميناء مصراتة 25 رحلة ما بين 15 أبريل 1916-30 أكتوبر 1918م[52]، وقد تركزت تلك الرحلات على مدينة مصراتة التي تكونت فيها حكومة قوية بقيادة رمضان بك السويحلي والذي يصفه الملازم أول بيكر قائد الغواصة الألمانية UC20 بأنه شخصية كبيرة ينحني له الضباط العرب والعثمانيون بما فيهم القائد العثماني نوري باشا، والذي أخبر الضابط الألماني بأنه نقل قيادته من برقة إلى مصراتة بسبب الصلح بين السنوسيين والإيطاليين والإنجليز، والذي لم يجري حسب رأيه إلا نتيجة لرشوة المشائخ العرب، وأخبره بأنه يأمل أن يعلن سكان برقة سخطهم على هذا الصلح[53].

لم يكن الغرض من تلك الرحالات الألمانية إلى مصراتة إمداد المقاومة الليبية ضد الإيطاليين في ليبيا فقط، بل كان أيضاً مخططاً لها أن تكون لغرض دعم الهجوم على القوات الفرنسية في تونس والجزائر[54].

من ضمن الذين وصلوا إلى مصراتة على تلك الغواصات سليمان الباروني، الذي أرسل رسالة إلى قائد المجاهدين في العزيزية محمد سوف بعد وصوله بيوم واحد بتاريخ 15 كتوبر 1916م، يقول فيها: " إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم، عدنا ولله الحمد، واستقبلنا أهل مصراتة الكرام بكل سرور وابتهاج"[55]، وهذا يدل على العلاقات الوثيقة بين قادة مصراتة وأبنائها مع زعماء المقاومة في المنطقة الغربية في تلك الفترة.

في سنة 1918م حاول إسحاق باشا القائد التركي في الجبهة الغربية، مواجهة رمضان السويحلي وإعداد حملة عسكرية ضده؛ لأنه أصبح يرى بأن قوات مصراتة أصبحت تشكل تهديداً لنفوذ الدولة العثمانية، كما أن الذخائر والمواد العسكرية التي كانت تحملها الغوّاصات إلى مصراتة لا يتم إرسالها إلى الجبهة الغربية إلا بما تقتضيه الضرورة، وهذا ما أزعج إسحاق باشا أيضاً، ولكن تدخل الأمير عثمان فؤاد منع الحرب، وتلاشت أثار الفتنة تدريجياً[56].

كما طلبت إيطاليا من إدريس السنوسي تكوين قوة لردع قوة السويحلي في الغرب وقامت بتزويد جنوده بالأكل والمؤن والملابس والسلاح والمرتبات، كما قامت بتسليمه أربع مدافع وتسع رشاشات و1500 بندقية، وبالفعل شكل إدريس قوة من خمسمائة جندي بقيادة محمد الشويخ، والسنوسي الفرفاروني، وتمركزت هذه القوة بموقع زاوية النوفلية، وبدأت بالإغارة على مناطق نفوذ حكومة مصراتة[57].

يمكن القول بأن الأمير إدريس السنوسي قد طلب من الوالي الإيطالي تزويده بالأسلحة في تلك الفترة لمواجهة قوات مصراتة أو التدخل الإيطالي المباشر إلى جانبه، وتدل على ذلك البرقية التي وجهها الوالي الإيطالي أميلو إلى وزير المستعمرات الإيطالي في روما بتاريخ 1917/10/18م، والتي يقول فيها الوالي: "فيما الطريقة التي يمكن صد بها مؤيدو الأتراك ضد القداحية تزويد إدريس بالوسائل التي طلبها لتمكين هذا الموقع(*) من الصمود والدفاع، وحمل السيد إدريس في حالة تطور الأمور إلى درجة توقع قرب الخطر والتهديد على قبول الخضوع لتدخلنا المباشر"[58]، وتدل هذه الوثيقة الإيطالية ضمنيًّا على صحة الرواية التي أفادنا بها خليل جادالله الدرسي، وهو أحد كبار المجاهدين في شرق البلاد.

أما في المنطقة الغربية وفي الخمس تحديداً فقد خاض رجال السويحلي المتمركزون في رأس الحمام عدّة معارك مع الإيطاليين وخاصة في النصف الثاني من العام 1917م[59]، وباءت كل محاولات رمضان السويحلي في تحرير الخمس بالفشل، وذلك بسبب التحصينات الإيطالية، واستخدم الإيطاليون القوات الجوية، ومدفعية البوارج البحرية، كذلك أدّى سحب رمضان السويحلي 500 مقاتل من مقاتلي مصراتة بقيادة عبد العاطي الجرم من معسكر رأس الحمام في العشرين

(51) الطاهر الزاوي، تاريخ جهاد الأبطال، المصدر السابق، ص317.

(52) عماد الدين غانم، عمليات الغواصات الألمانية في المياه الليبية وحركة الجهاد (1915 – 1918م)، دراسة في تاريخ العلاقات الليبية الألمانية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2003م، ص109.

(53) عماد الدين غانم، مرجع سابق، ص226.

(54) المرجع نفسه، ص109.

(55) مصطفى هويدي، تأثيرات الحرب العالمية الأولى على حركة الجهاد من ضمن كتاب بحوث ودراسات في التاريخ الليبي (1911– 1940م)، الجزء الثاني، تأليف مجموعة من الأساتذة والباحثين، إشراف صلاح الدين السوري، حبيب وداعه الحسناوي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ط2، 1998، ص212.

(56) جميل عارف، صفحات من المذكرات السرّية لأول أمين عام للجامعة العربية، عبدالرحمن عزام، الجزء الأول، المكتب المصري الجديد للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت)، ص184.

(57) موسوعة روايات الجهاد، سلسلة الروايات الشفوية، رقم (23)، رواية المجاهد خليل جارالله الدرسي، مركز جهاد الليبيين، طرابلس، 1990، ص92.

* يقصد بالموقع: منطقة القداحية التي يتمركز بها عبدالجليل سيف النصر، والذي كان يهاجم منها ورفلة التي كان يقودها عبدالنبي بالخير حليف رمضان السويحلي في تلك الفترة.

(58) سلسلة الوثائق الإيطالية المترجمة والمنشورة، المجموعة الثامنة والعشرون، المجلد الثاني، تر: شمس الدين بن عمران، إعداد: وداد فتيتة، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2003، ص214.

(59) المصدر نفسه، ص61، 65، 66، 131، 158، 201، 219.

من سبتمبر 1917م، وذلك للمشاركة في معارك طرابلس[60]، مما أضعف قوات المجاهدين التي كانت تحاصر مدينة الخمس. أما قوات مجاهدي مصراتة المتجهة إلى طرابلس فتمركزت في موقعين بالقرب من قصر بن غشير، وهما سانية بالحاج، وتتكون ما بين 400 و500 مقاتل مصراتي، وموقع سوق السبت، وبه حوالي 150 مقاتل مصراتي[61]، وقد شاركت تلك القوات في معركة المليخات في نفس العام بالقرب من طرابلس[62].

بدأت في مصراتة عملية تجنيد كبيرة للأهالي، وتوزيع الأسلحة على المتدربين، وتوالت الاجتماعات بين القادة خلال شهري ديسمبر 1918م، ويناير 1919م في عدة مواقع في العزيزية، ومسلاتة، ومصراتة، وترهونة، وقد تغاضى الزعماء على الماضي بما فيه من مآسي وفي مقدمتهم رمضان السويحلي، رغم صلابة الرجل وعناده وقوة شكيمته، فقد بعث بكمية كبيرة من الذخائر الحربية إلى زعيم ترهونة (أحمد المريض)، وأقسما أن يتناسيا أحقادهما[63]، كما وافق السويحلي على أن يغذي جبهات المقاومة باحتياجاتها من أسلحة وذخيرة وتموين، كما أرسل مبعوثاً إلى إدريس السنوسي في برقة يعرض عليه نبذ المناوئات الطائفية والصفح على الماضي، وطلب من عبدالجليل سيف النصر زعيم قبيلة أولاد سليمان أن يكون وسيطاً بينه وبين السنوسيين[64]، وبقيت مصراتة منذ 1915م إلى 1922م شبه عاصمة لقيادة الحركة الوطنية في غرب ليبيا[65].

المبحث الثاني- الدور السياسي لمدينة مصراتة في حركة الجهاد الليبي 1911م إلى 1922م.

أولاً- قيام الجمهورية الطرابلسية:

بعد هزيمة تركيا وألمانيا في الحرب العالمية الأولى، وتوقف الدعم للمجاهدين، ومن ثم أخذت فكرة قيام الجمهورية تتشكل فوراً، فقد طلب عبدالرحمن عزام في اجتماع بمنزل رمضان السويحلي بمصراتة حضره زعماء القبائل بما فيهم زعيم ورفلة عبدالنبي بالخير، إقامة حكومة عربية لمواصلة الجهاد[66]. كما اتفق سليمان الباروني ورمضان السويحلي في مدينة مصراتة عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى، ووصول الأخبار بهزيمة تركيا وألمانيا في الحرب، على إقامة جمهورية تتألف رئاستهما منهما إضافة إلى أحمد المريض وعبد النبي بالخير[67]، وهو ما تم بالفعل في مؤتمر مسلاتة في 16 نوفمبر 1918م، ويقول عبد الرحمن عزام: " إن رمضان السويحلي كان على بيّنة بكل خطوات إعلان الجمهورية، وكنَّا نتشاور معه في كل كبيرة وصغيرة، وكان أسماء جميع المرشحين لمناصب الجمهورية الجديدة بموافقته"[68].

كان لمدينة مصراتة أهمية خاصة باعتبارها موطن فكرة أول جمهورية في البلاد العربية، ولكونها قاعدة ثائرة استطاعت طرد القوات الإيطالية سنة 1915م، بالقوة المسلحة، وأصبحت قاعدة لرسو الغواصات التركية والألمانية لمد حركة المقاومة في الغرب الليبي بالمؤن والذخيرة، وكذلك للتنظيم العسكري والاقتصادي والإداري الذي حدث عقب إنشاء الحكومة الوطنية فيها، وقد كان هذا الحدث -إعلان الجمهورية- أول حدث من نوعه في المنطقة العربية، كان له تأثيره المباشر حتى على قيام ثورة 1919م في مصر على المستويين الشعبي والحزبي[69].

إن حاجة المصريين لرعاية شؤونهم الحياتية المختلفة في القرى والمدن، وكذلك تبني المثقفين المصرين لفكرة الجمهورية، بعد اتخاذ قيادة حزب الوفد خط سياسي متوافق مع الجمهورية الطرابلسية، فقد أدى ذلك إلى تحقيق تلك الفكرة كواقع ملموس على الأراضي المصرية، فظهرت عدة جمهوريات مستقلة شبيهة بالجمهورية الطرابلسية في عدة مدن مصرية منها: المنية، وفارسكور، والمطرية، وزفتي[70].

كما كان أيضاً للجمهورية الطرابلسية تأثيراتها في المغرب، بإعلان جمهورية الرّيف بقيادة عبدالكريم الخطابي 18 سبتمبر 1921م[71].

يرى الباحث أن تلك الأسباب نبّهت الدول الاستعمارية إلى خطورة تلك التجربة والتجارب التي تلتها، فحرصت على وأدها في بدايتها، والحرص على عدم السماح بوجود أنظمة يمكن أن تتطلع إليها الشعوب في المنطقة، ولذلك فقد تم مهاجمة أراضي الجمهورية أثر قيامها عن طريق الطيران الإيطالي، وضربت مدينة مصراتة بطائرات إيطالية، ولم تفلح تلك الغارات في تخلي القيادات الوطنية عن تلك الجمهورية.

(60) نفسه، ص52.
(61) سلسلة الوثائق الإيطالية المترجمة والمنشورة، المجموعة الثامنة والعشرون، مصدر سابق، ص335.
(62) المصدر نفسه، ص85.
(63) مصطفى هويدي، الجمهورية الطرابلسية، جمهورية العرب الأولى أول دراسة مرجعية في موضوعها، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ط1، 2000م، ص122-124.
(64) محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1954م، ص237.
(65) مصطفى هويدي، مرجع سابق، ص98.
(66) جميل عارف، مصدر سابق، ص199.
(67) أبو القاسم الباروني، حياة سليمان باشا الباروني، ط2، (د.ن)، القاهرة، 1948م، ص90.
(68) جميل عارف، مصدر سابق، ص213.
(69) عبدالعظيم محمد رمضان، الحركة الوطنية في مصر بين سنة 1918م-1931م، ط2، مكتبة مذبولي، القاهرة، 1983، ص284.
(70) مفتاح بلعيد غويطة، الموقف الشعبي المصري من حركة الجهاد في ليبيا (1911 – 1931م)، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، دار الكتب الوطنية بنغازي، ط1، 2003م، ص353 -355.
(71) مصطفى هويدي، مرجع سابق، ص206.

مع ذلك فإن الباحث يرى أن تسليم الزاوية من قبل قائد جيش الجمهورية عبدالقادر الغاني إلى الإيطاليين في يناير 1919م[72]، وكذلك الموقف العدائي لزعيم ورفلة تجاه رمضان السويحلي وقواته في مصراتة، إضافة إلى العداء بين رمضان السويحلي وإدريس السنوسي في برقة كل ذلك أدى بقادة الجمهورية الطرابلسية إلى طاولة المفاوضات مع الإيطاليين.

ثانياً- صلح سواني بن يادم (1919م):

بدأ قادة الجمهورية مفاوضات مع الإيطاليين في خلة الزيتونة[73]، وفي 18 إبريل 1919م أعلن وقف إطلاق النار، وفي مايو استمرت المفاوضات وأجمع الزعماء على قبول الصلح وجاء رمضان السويحلي إلى العزيزية بنفسه ليعلن موافقته على الصلح، وليوقع على وثيقة الاتفاق بين الزعماء العرب والإيطاليين، والتي أعطتهم نوعاً من الاستقلال الذاتي، وكانت أهم الأسس التي تضمنتها اتفاقية الصلح هي، تسمية حكومة القطر الطرابلسي، ويسن القوانين مجلس النواب الذي ينتخبه الأهالي ولا يطبق من قوانين إيطاليا في طرابلس إلا ما يقبله مجلس النوّاب الطرابلسي، وينظم جيش من أبناء البلد، وتصرف الضرائب حسب ما يقرره مجلس النواب، وينتخب الأهالي تحت إشراف الحكومة ويؤلف مجلس شرعي وهو يعيّن القضاة، وللطرابلسيين الحائزين على الشهادة العالية الحق في مزاولة المهن الحرّة، وتدار الأوقاف بمعرفة هيئة إسلامية، وتراعى حرمة الدين والتقاليد[74]، وفي أول يونيو سنة 1919م، وضع القانون الأساسي ودخلت المنطقة في السلم مؤقتاً، وهذا الصلح أنهى دور الجمهورية الذي استمر حوالي ثمانية أشهر[75].

كان الإيطاليون لا يخشون أحداً من الزعماء كما كانوا يخشون رمضان بك السويحلي بك، فقد كان أكبرهم نفوذاً، وأقواهم جيشاً، وأكثرهم قدرة على المناورة، وبالرغم من شخصيته القيادية، فقد كانت قوّة السويحلي تنطلق وتنبثق من قوة مدينته مصراتة التي جعلت منه شخصية قويّة وهامة استطاعت أن تفرض نفسها على الإيطاليين[76]، وقد بان ذلك جلياً عندما أصر الأيطاليون على دخوله لطرابلس، وقد دخل بجيشه وهو في المقدمة لتوقيع السلم[77]، وأيضاً عندما استطاع فرض شروطه في عملية تبادل الأسرى، رغم ابتزاز الإيطاليين له في هذا الموضوع، إذ تدل الوثائق على تهديد الإيطاليين له بشنق أخويه أحمد وسعدون وجميع المصراتيين لديهم، وحرق مدينتي مصراتة وزليتن بسبب موضوع الأسرى[78]، إلا أن رمضان اشترط إطلاق سراح جميع الأسرى بما فيهم العائلات الطرابلسية، وهذا ما حدث، حيث اتفق الطرفان على إطلاق جميع الأسرى[79]، بما فيهم الطيارين الإنجليزيين اللذان سقطت طائرتهم بالقرب من النوفلية حيث تم نقلهم وحجزهم في مصراتة، إلى جانب 800 أسير إيطالي، أغلبهم أسرتهم قوات رمضان في معركة القرضابية، ومعارك مصراتة، والبعض الأخر تم أسره في مناطق أخرى في غرب البلاد وجنوبها وتم تسليمهم إلى رمضان السويحلي في مصراتة[80].

قد حاول الجنرال الإيطالي إقناع رمضان السويحلي بالتوجه إلى طرابلس لمقابلة الحاكم الإيطالي لتوقيع معاهدة الصلح، ولكنه اعتذر في بادئ الأمر، ولما ألحّ عليه الجنرال الإيطالي اشترط أن يكون مصحوباً في دخوله إلى مدينة طرابلس بالزعماء، وبقوة مكونة من 1500 فارس على الأقل بأسلحتهم[81]، وأبى رمضان بك أن يبقى في ضيافة الحكومة، وخرج بعد مقابلة الوالي مباشرة إلى محل معسكر المجاهدين في سواني المشاشطة[82].

يقول غراتسياني بشأن الصلح: إنه من التمويه والتضليل أن يُسمَّى ما جرى في خلة الزيتونة صلحاً، بل هو إزالة لسلطتنا عن طرابلس[83].

عطل هذا الاتفاق مع العرب، الاستيلاء على مصراتة، وكان قد أُعدّ جيشاً هائلاً لاحتلالها، ورضخت إيطاليا إلى الصلح المهين بعد خروجها من الحرب العظمى منتصرة[84].

عقدت جلسة للقادة في ترهونة بمناسبة انتخاب المجلس الحكومي، والذي أصرّ فيه رمضان السويحلي على فرض ممثلين عن مصراتة وهم أحمد السويحلي وعمر أبودبوس[85].

(72) الطاهر الزاوي، تاريخ جهاد الأبطال، مصدر سابق، 337.
(73) المصدر نفسه، ص351.
(74) جميل عارف، مصدر سابق، ص231، 232.
(75) الطاهر الزاوي، تاريخ جهاد الأبطال، مصدر سابق، ص351.
(76) مصطفى هويدي، الجمهورية الطرابلسية، مرجع سابق، ص102.
(77) جميل عارف، مصدر سابق، ص231.
(78) صلاح الدين السويحلي، مرجع سابق، ص327.
(79) المرجع نفسه، ص263.
(80) نفسه، ص260.
(81) جميل عارف، مصدر سابق، ص235.
(82) الطاهر الزاوي جهاد الأبطال، مصدر سابق، ص374.
(83) الطاهر الزاوي جهاد الأبطال، مصدر سابق، ص352.
(84) المصدر نفسه، ص346.
(85) نيكولاي ايليتش بروشين، مرجع سابق، ص201، 202.

عقب الصلح تأسس حزب الإصلاح الوطني، وكانت رئاسته الشرفية لرمضان بك السويحلي[86].

وبذلك وجد الطرابلسيون أنفسهم في مركز اجتماعي هائل، يجمع حكومة وطنية، وحزباً وطنياً، وجيشاً وطنياً، وهو ما شكل خطراً على الإيطاليين، فبدأت دسائسهم بين الزعماء[87]، ويظهر هذا جلياً في رسالة (كولو سيمو) وزير المستعمرات الإيطالية للوالي الإيطالي في طرابلس فرانشيسكو قاريوني، والذي أشار فيها بضرورة الحيلولة دون ائتلاف الباروني مع السويحلي، والضغط على أحمد المريض زعيم ترهونة، وعبد النبي بالخير زعيم ورفلة، حتى يعملُوا جميعاً ضد السويحلي[88].

بدأت خيوط المؤامرة، بعد اتصال عبدالقادر الغناي قائد قوات الجمهورية بالإيطاليين ليسلم الزاوية[89]، وانسحاب قوات مصراتة إلى مسلاتة، بعد أن خطط الإيطاليون لاعتقال رمضان السويحلي[90]، وأيد دخول الإيطاليين إلى الزاوية عبدالرزّاق بن عبدالحميد البشتي الذي ألقى خطبة جاء فيها: "إن الصلح تمّ مع جميع الرؤساء والأعيان، إلا رمضان السويحلي الشقي، وانضمّ إليه الغناي، وبعض عساكر برقة الموجودين معه، وخالفه البعض، وفيهم عبد العاطي الجرم[91].

تمركزت قوات مصراتة في مناطق نفوذها في مسلاتة، وفي 21 مايو سنة 1920م دخلت سيارتان إيطاليتان وفيهما ضباط وعساكر إيطاليون قاصدين قصر خيار، فأمر رمضان السويحلي بالقبض عليهم، كذلك أمر علي المنقوش بالقبض على الإيطاليين في سرت، وعددهم مائة، وقبض على من في مصراتة، وبهذا انقطعت العلاقة بين السويحلي والطليان، واعتبر الطرابلسيون ذلك عملاً وطنياً[92].

كذلك انسحب من طرابلس كل من أحمد السويحلي وعمر أبودبوس ومختار كعبار ومحمد الفقيه حسن، وهم أعضاء المجلس الحكومي، الذي تكون نتيجة صلح بن يادم، كما غادر عبدالرحمن عزام المدينة معهم، بحجة رفض الحاكم الإيطالي طرح موضوع البرلمان أمام الحكومة، وآلية عمله كجهاز تشريعي أو استشاري[93].

ركّز الإيطاليون جل اعتمادهم على عبدالنبي بلخير، وهو زعيم من بني وليد، وكذلك ركّزوا على المناطق المجاورة لمصراتة، وكانت كراهية عبدالنبي بالخير لرمضان السويحلي تتزايد بتزايد نفوذ هذا الأخير، فحاول الإيطاليون أن يؤجّجُوا الصراع بينهما، ولكي يقضي رمضان السويحلي على هذه المكائد قرر أن يطرد الإيطاليين من منطقة بني وليد وأن يقتص من خصمه[94].

بسبب ذلك الصدام بين رمضان السويحلي وعبدالنبي بالخير، فقد أعدّ رمضان حملة عسكرية ضد غريمه في بني وليد انتهت بمقتله، وعن هذه الأحداث، تتحدث الوثائق الإنجليزية في تقرير أعده الملحق العسكري البريطاني في روما بوسيلبوا بتاريخ 31 أغسطس 1920م، عن هذه الحادثة: "ما عُرف حتى الآن من الأحداث التي قادت لهذا الصدام قليلة جدًّا، لكن الظاهر أن ورفلة وبعض القبائل الصديقة لإيطاليا قد عقدت العزم على تحطيم قوة رمضان اشتيوي الذي سعى لبسط نفوذه على كل طرابلس، والذي بعدائه العلني لإيطاليا أضرّ بعلاقاتهم الحسنة مع السلطات الإيطالية. ولقد سمع رمضان بأن هذه القبائل تتحد لمهاجمته، ولذا قرر أن يفاجئ ورفلة، وبذلك يكسر الحصار الذي كان يخطط له حول مركز قوته في مصراتة، ففاجئ بني وليد، معقل ورفلة، التي تقع في الداخل على بعد 80 ميلاً، وإلى الجنوب الغربي لمصراتة، ولقد نجح في البداية في دخول ورفلة، التي سرعان ما جمعت شملها وغيرّت ميزان المعركة لصالحها"[95].

كما يعتبر إعدام عبدالهادي بن قطنش - أحد قادة ورفلة - شنقاً في مصراتة بتاريخ 1917/01/01م على يد رمضان السويحلي والذي كان يسعى للصلح مع الإيطاليين، وإطلاق سراح الأسرى الإيطاليين في مصراتة، وكان لهذا الحدث تأثير في العلاقات بين المدينتين[96].

لم تتأثر مصراتة بموت زعيمها، فقد تناسته في سبيل مصلحة الوطن، ونزلت عند إرادة الأمة، وأظهرت استعدادها للتفاهم مع عبدالنبي، ولكن شكوكه ووساوسه أبت عليه أن ينظم إلى الصفوف، واستمر في انشقاقه، وكانت له صلة كبيرة

(86) الطاهر الزاوي، جهاد الأبطال، مصدر سابق، ص378، 379.
(87) المصدر نفسه، ص381.
(88) فؤاد الكعبازي، أطروحة الآنسة غابريللي عن سياسة بلادها الاستعمارية، مجلة الشهيد، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، العدد الثالث، أكتوبر، 1982م، ص352.
(89) الطاهر الزاوي، جهاد الأبطال، مصدر سابق، ص237.
(90) نيكولاي ايليتش بروشين، مرجع سابق، ص204.
(91) الطاهر الزاوي، جهاد الأبطال، مصدر سابق، ص238.
(92) المصدر نفسه، ص340.
(93) نيكولاي ايليتش بروشين، مرجع سابق، ص204.
(94) المرجع نفسه، ص205.
(95) صلاح الدين السويحلي، جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي من خلال الوثائق الإنجليزية، وثائق تنشر لأول مرة، دار الشعب للطباعة والنشر، مصراتة، ط/1، 2008م، الوثيقة 25، ص181.
(96) الوثائق الإيطالية المترجمة والمنشورة، المجموعة العاشرة، تر: خالد زكي ثابت، إعداد: علي عمر الهاذل، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس 1991م، وثيقة (5).

بالإيطاليين، وذلك بأن رسله وقوافله كانت تغدو وتروح بينه وبينهم متخذة طريقها إلى طرابلس بين حدود غريان وترهونة[97].

اجتمعت الكلمة في مصراتة على انتخاب أحمد السويحلي، وأسندت إليه رئاسة حكومة مصراتة في أواخر أغسطس 1920م، وكذلك رئاسة الجيش، وقد وافق ساحل الأحامد ومسلاتة وقماطة على هذا الاختيار، وظهر بعض المخالفين في زليطن، ولكنهم لم يقووا على مناوأة الأكثرية، وكل هذه المناطق كانت تابعة لحكومة مصراتة[98].

يرى الباحث أن المؤسسة العسكرية أصبح يقودها وينظمها سعدون السويحلي، رغم خضوعها لرئاسة الحكومة، ومنذ تلك الفترة بدأت في مدينة مصراتة سياسة الفصل بين السلطات؛ أي: أصبح أحمد السويحلي قائداً سياسياً، وسعدون قائداً عسكرياً، ففي السابق كان رمضان يجمع القيادتين في شخصه.

ثالثاً- مؤتمر غريان:

بدأ المؤتمر التحضيري لمؤتمر غريان في أكتوبر 1920م، مثله عن مصراتة علي الهّمالي، وانعقد المؤتمر في 18 نوفمبر 1920م، وأصدر بعد انتهاء جلساته قراراً نصّ على: "إن الحالة التي آلت إليها البلاد لا يمكن تحسينها إلا بإقامة حكومة قادرة، ومؤسسة على أن تحقق الشرع الإسلامي بزعامة رجل مسلم ينتخب من الأمة، لا يعزل إلا بحجة شرعية وإقرار مجلس النواب، وتكون له السلطة الدينية والمدينة والعسكرية، بأكملها بموجب دستور تقرّه الأمة بواسطة نوابها، وأن يشمل حكمه جميع البلاد بحدودها المعروفة"[99].

تم في هذا المؤتمر انتخاب (هيئة الإصلاح المركزية)، ومثّل مدينة مصراتة في هذه الهيئة عمر أبودبوس، والتهامي اقليصة، ونوري السعداوي، وبشير السعداوي[100].

كان كل الطرابلسيين يعلمون مع الاقتناع التام أن مصراتة هي مركز الحركة الوطنية وقلبها النابض[101]، والدليل على ذلك قول أحد المسؤولين الإيطاليين في طرابلس والذي عاش تلك الفترة: "آلم حكومة روما فقدان مصراتة، لأن امتلاكها يكتسب أهمية سياسية ومعنوية بالغة، فتركها في يد الأعداء خسارة كبيرة، وقد كان إلحاح الإنجليز بوجوب احتلالها متواصلاً، فالمدينة تتحكم في القطاع الشرقي لطرابلس الغرب إلى خليج سرت، والجبل وغريان، وعدم امتلاكنا لها أضعف وضعنا المحلي في الإقليم، وكذلك أضعف وضعنا الدولي في ساحة البحر المتوسط"[102]، ولذلك فقد طلب الوالي الإيطالي (قاريوني) أسلحة وطائرات جديدة، وأربعمائة شاحنة من حكومة روما لضرب مدينة مصراتة، إلا أن طلبه لم ينظر فيه[103]، إلى أن جاء فولبي حاكم طرابلس الجديد بداية يوليو 1921م، فبدأت إيطاليا بعرقلة جهود الوحدة الوطنية، وذلك بتوفير تعزيزات جديدة من أجل مهاجمة مصراتة التي كانت تمثل قاعدة تموين لقوى المقاومة في طرابلس، إلا أن الحكومة الإيطالية لم تؤيد ذلك بسبب معارضة الاشتراكيين الذين يدعون إلى تقليص المصاريف العسكرية، فقرر مهاجمة قصر أحمد بغته باستخدام القوات الموجودة، وسميت بحرب السبعة عشرة يوماً، وكان الميناء ضعيف التحصينات[104].

رابعاً- مؤتمر سرت:

توجّه وفد من هيئة الإصلاح المركزية إلى سرت، على رأسهم أحمد السويحلي وعمر أبودبوس ومحمد نوري السعداوي، لملاقاة ممثلي برقة في ديسمبر 1921م، واتفقوا معهم في مرتمر سرت في 12 يناير على عدة بنود، أهمها توحيد الصفوف ضد العدو وتوحيد الزعامة بانتخاب أمير مسلم له السلطة العسكرية والمدنية وفق دستور ترضاه الأمة[105].

كما أوفدت هيئة الإصلاح المركزية بشير السعداوي ليمثل إقليم طرابلس لدى حكومة برقة، وفوّضت عبدالعزيز العيساوي بتمثيل مصالح برقة في طرابلس[106].

عجز الإيطاليون عن تصعيد نجاحهم العسكري رغم فارق العدة والعتاد وغياب القادة العسكريين من أمثال رمضان السويحلي وخيانة بعض الأعيان، وسريان التناحر في الصفوف، وبدأت مفاوضات فندق الشريف 25 مارس 1922م ليكسب الإيطاليون الوقت لوصول التعزيزات، وكان من بين المفاوضين بشير السعداوي، ومما انتهى إليه قادة هيئة الإصلاح المركزية بأن مفاوضات فندق الشريف لا تتجاوز كونها مناورة دورية للدبلوماسية الإيطالية، فبادروا إلى اتخاذ مجموعة من الإجراءات لتنفيذ الاتفاقية المبرمة في سرت فشكل وفد خاص لدعوة الأمير إدريس إلى حفل تقديم البيعة من قبل الطرابلسيين كأمير لأمارة موحدة، وانطلق الوفد من مصراتة برفقته بشير السعداوي، وبوصولهم إلى اجدابيا، أبلغ

(97) الطاهر الزاوي، جهاد الأبطال، مصدر سابق، ص423.
(98) المصدر نفسه، ص404.
(99) الطاهر الزاوي، جهاد الأبطال، مصدر سابق، ، ص419-424.
(100) المصدر نفسه، ص422.
(101) نفسه، ص393.
(102) مصطفى هويدي، الجمهورية الطرابلسية، مرجع سابق، ص99، 100.
(103) المرجع نفسه، ص100.
(104) نيكولاي ايليتش بروشين، مرجع سابق، ص210.
(105) نيكولاي ايليتش بروشين، مرجع سابق، ص208.
(106) ارويعي محمد قناوي، بشير السعداوي، مرجع سابق، ص114.

إدريس السنوسي الوفد بأنه لم يعد بوسعه فعل شيء وازداد الأمر سوءً بوصول الحزب الفاشي إلى السلطة في 30 أكتوبر 1922م، فقد قلب ذلك الموازين السياسية، وتنكرت إيطاليا إلى الاتفاقيات المعقودة مع الزعماء الليبيين، وساءت العلاقة بين إدريس السنوسي والزعماء الليبيين، وكذلك ساءت علاقته مع الإيطاليين فهاجر إلى مصر، ووصلها في منتصف يناير 1923م[107]. وبذلك يكون قد ترك الساحة وآثر الانسحاب وقد أثر ذلك على المعارك القادمة وعلى العلاقات الطرابلسية البرقاوية بوجه عام، وساءت أوضاع الجيش الطرابلسي إلى حد كبير بعد فقدان يفرن وغريان كما توقف ورود التموينات، والذخائر من مصراتة بسبب نقص وسائل النقل[108].

هكذا كان لمصراتة دور فعّال على الصعيدين السياسي والعسكري بشكل خاص وعلى الأصعدة كافة بشكل عام خلال الفترة 1911-1922م في الحركة الوطنية الليبية الأمر الذي أهلها ليكون لها دور مشابه في الفترة اللاحقة ولذلك اتجهت أفكار الإيطاليين إلى احتلالها للمرة الثانية.

الخاتمة

تؤكد هذه الدراسة أن مدينة مصراتة شكّلت إحدى أبرز واجهات المقاومة الليبية للاحتلال الإيطالي خلال الفترة 1911–1922م، من خلال تكامل لافت بين الأداء العسكري والقيادة السياسية. فقد خاض أبناء المدينة مواجهات مسلحة شرسة ضد قوات الاحتلال، وأسهموا في تعطيل خطط السيطرة المباشرة، بينما برزت قيادات محلية عملت على تنسيق الصف الداخلي وتوجيه العمل المقاوم بوعي سياسي واستراتيجي.

وقد أظهرت الدراسة أن هذا التكامل بين السلاح والسياسة كان له أثر كبير في تعزيز فعالية المقاومة، وإرباك محاولات الاحتلال لفرض السيطرة، لا سيما في السنوات التي سبقت وصول الحزب الفاشي إلى الحكم. كما بيّنت أن تجربة مصراتة تصلح أن تكون نموذجًا مصغرًا لفهم ديناميات المقاومة الليبية في مرحلة التأسيس، حيث تداخلت عوامل القوة العسكرية مع البصيرة السياسية في إدارة الصراع ضد الاحتلال.

وبذلك تفتح هذه الدراسة المجال لمزيد من البحوث التي تتناول تجارب المدن الليبية الأخرى من منظور مزدوج، يسبر الجوانب العسكرية والسياسية في حركات المقاومة، لإعادة قراءة التاريخ الوطني بمنهج شامل ومتوازن.

أخيراً هذه الدراسة كغيرها من الدراسات الأخرى عبارة عن مجهود بشري لا يخلو من التقصير والأخطاء، فإن الباحث يتحمل المسؤولية عما ورد من آراء له فيها ولا يتحمل مسؤولية كتابات وشهادات وآراء وردت في هذه الدراسة لغيره، وفي الوقت نفسه أعتذر عن الأخطاء المنهجية أو العلمية، وكذلك الأخطاء اللغوية والفنية إن وجدت، ورغم تسليط الضوء على جوانب كثيرة من الموضوع محل الدراسة إلا أنه يحتاج إلى مزيد من الدراسات والبحوث الأخرى التي ينبغي أن تتناوله بكثير من التوسع.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً- قائمة المصادر:

1- الوثائق الإيطالية المترجمة والمنشورة:

- المجموعة السادسة، إعداد: خليفة محمد الدويبي، إبراهيم سالم الشريف، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ط1، 1990، وثيقة رقم (34)، وثيقة رقم (54).
- المجموعة الثامنة والعشرون، المجلد الثاني، تر: شمس الدين بن عمران، إعداد: وداد فتيتة، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2003.
- المجموعة الثانية عشر، تقرير النقيب قاليتا، تر: محمود بادي، مر: علي الصادق حسنين، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، دار الكتب، طرابلس، 1990م.
- المجموعة العاشرة، تر: خالد زكي ثابت، إعداد: علي عمر الهاذل، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1991م، طرابلس، وثيقة رقم (5).

2- الرواية الشفوية:

- موسوعة روايات الجهاد، سلسلة الروايات الشفوية، رقم (23)، رواية المجاهد خليل جارالله الدرسي، مركز جهاد الليبيين، طرابلس، 1990.
- موسوعة روايات الجهاد، سلسلة الروايات الشفوية، رقم (33)، رواية أحمد عواج، مركز دراسة جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس 1992م.

3- المقابلات الشخصية:

- مقابلة أجراها الباحث مع أحمد عمر أبوزيان، عام 1990م الذي بدوره يروي عن الشيخ علي الزعيليك، أحد مشائخ قبائل الكوارغلية والمولود في العام 1874م.
- مقابلة أجراها الباحث مع الحاج أحمد علي أبو شرود في سنة 2007م، والذي نقلها عن عمه الذي عاصر تلك الفترة، وقد أجرى الباحث هذه المقابلة بمصراتة في أكتوبر 2007م.

(107) المرجع نفسه، ص117-118.

(108) نيكولاي إيليتش بروشين، مرجع سابق، ص212-219.

4- الكتب:

- أبو القاسم الباروني، حياة سليمان باشا الباروني، ط2، (د.ن)، القاهرة، 1948م.
- جميل عارف، صفحات من المذكرات السرّية لأول أمين عام للجامعة العربية، عبدالرحمن عزام، الجزء الأول، المكتب المصري الجديد للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت).
- جورج ريمون، من داخل معسكرات الجهاد الليبي 1912، تر: محمد عبدالكريم الوافي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 1983.
- رودولفو غراتسياني، نحو فزان، تر: طه فوزي، دار الفرجاني للنشر، طرابلس، (د.ت).
- الطاهر الزاوي، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، داروف المحدودة، لندن، ط/3، 1984م.
- عمر المختار الحلقة الأخيرة من الجهاد الوطني في ليبيا، ط2، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2004.
- مذكرات خليل باشا، مذكرّات الضباط الأتراك حول معركة ليبيا، تر: وجدي كدك، مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي، طرابلس، 1979م.
- محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1954م، ص237.

ثانياً- قائمة المراجع:

- أحمد عطية مدلل، المقاومة الليبية ضد الغزو الإيطالي وتأثيرات الأوضاع الدولية عليها (أغسطس 1914–1915) مر: عقيل محمد بالبربار، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1989م.
- القرضابية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1993م.
- أرويعي محمد قناوي، بشير السعداوي ودوره في الحركة الوطنية الليبية (1884م-1957م)، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، ط1، 2014.
- نيكولاي إيليتش بروشين، تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى 1969م، تر: عماد حاتم، دار أويا للنشر والتوزيع والتنمية الثقافية، طرابلس، 2002م.
- تاريخ القوات المسلحة التركية (الدور العثماني) الحرب العثمانية الإيطالية 1911م-1912م، تر: محمد الأسطى وعلي عزازي، مر: نجم الدين زين العابدين، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية طرابلس، 1988م.
- خليفة محمد التليسي، معجم معارك الجهاد في ليبيا، 1911-1931م، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1983م.
- صلاح الدين السويحلي، جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي من خلال الوثائق الإنجليزية، وثائق تنشر لأول مرة، دار الشعب للطباعة والنشر، مصراتة، ط1، 2008م، الوثيقة 25.
- رمضان السويحلي أحد رموز الجهاد الليبي ومحقق النصر في القرضابية، صلاح الدين السويحلي، مصراتة، ط1، 2014م.
- عبدالعظيم محمد رمضان، الحركة الوطنية في مصر بين سنة 1918م-1931م، ط2، مكتبة مذبولي، القاهرة، 1983.
- عماد الدين غانم، عمليات الغواصات الألمانية في المياه الليبية وحركة الجهاد (1915 – 1918م)، دراسة في تاريخ العلاقات الليبية الألمانية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2003م.
- فؤاد الكعبازي، أطروحة الآنسة غابريللي عن سياسة بلادها الاستعمارية، مجلة الشهيد، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، العدد الثالث، أكتوبر، 1982م.
- محمد مفتاح قريو، معارك الجهاد التي وقعت في مصراتة زمن الحروبات الإيطالية، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة، 1994م، ص13-15.
- مراد أبو عجيلة القمودي، حكومة مصراتة الوطنية وأثرها على حركة الجهاد في ليبيا من سنة 1914م إلى 1922م، مكتبة الزحف الأخضر للنشر والتوزيع، مصراتة، 2009م، ص80.
- مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، شعبة الوثائق الأجنبية، ملف بحوث ومقالات مترجمة من كتاب لويجي سيقاتو، إيطاليا في الحرب العالمية الأولى، ترجمة خاصة، رقم 36.
- مصطفى علي هويدي، الجمهورية الطرابلسية، جمهورية العرب الأولى (أول دراسة مرجعية في موضوعها)، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ط1، 2000م.
- تأثيرات الحرب العالمية الأولى على حركة الجهاد من ضمن كتاب بحوث ودراسات في التاريخ الليبي (1911 – 1940م)، الجزء الثاني، تأليف مجموعة من الأساتذة والباحثين، إشراف صلاح الدين السوري، حبيب وداعه الحسناوي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ط2، 1998.
- مفتاح بلعيد غويطة، الموقف الشعبي المصري من حركة الجهاد في ليبيا (1911 – 1931م)، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، دار الكتب الوطنية بنغازي، ط1، 2003م، ص353 -355.